الرسالة

(أعمال الرسل ١٦:٢٠-١٨، ٢٨-٣٦)

في تلك الأيام ارتأى بولسُ أن يتجاوزَ أفسس في البحر لئلّا يعرض له أن يُبطئ في آسية، لأنه كان يعجلُ حتى يكون في أورشليمَ يومَ العنصرة إن أمكنه* فمن ميليتُسَ بعَث إلى أفسسَ فاستدعى قُسوسَ الكنيسة* فلمّا وصلوا إليه قال لهم* احذروا لأنفُسكم ولجميعِ الرعية التي أقامَكم الروحُ القدس فيها أساقفةً لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمِه* فإني أعلم هذا أنّه سيدخل بينكم بعد ذهابي ذئابٌ خاطِفة لا تُشفق على الرعية* ومنكم أنفُسِكم سيقوم رجالٌ يتكلّمون بأمورٍ ملتوية ليجتذبوا التلاميذَ وراءهم* لذلك اسهروا متذكّرين أنّي مدّة ثلاث سنين لم أكفُف ليلًا نهاراً أن أنْصحَ كلّ واحدٍ بدموعٍ* والآن أستودعكم يا إخوتي الله وكلمة نعمتِه القادرة أن تبنيَكم وتمنحكم ميراثاً مع جميع القدّيسين* إني لم أشتهِ فِضّةَ أو ذهبَ أو لباسَ أحدٍ* وأنتم تعلمون أنّ

معرفة الله

يخبرنا ربنا يسوع المسيح في إنجيل اليوم أن حياتنا الأبدية هي معرفة الله. هذا هو الهدف من وجودنا الذي إن لم ندركه لا نعرف أيّ اتّجاه نسلكه في هذه الحياة. كلُّ إنسان في هذا العالم يعلم أنه مدعو للتألّه، للاتّحاد بالله، لذا فهو يشبه ربّان سفينة معه خرائطه وبوصلته ويتوجّه بثبات الى المكان الذي يقصده. أما من لا يعي دعوته، فيقضي عمره في قارب حياته، تائهاً في البحر، تاركاً الرياح والأهواء تتحكّم في مسيرته لأن وجهتَه غيرُ واضحة.

إن التألّه الذي دُعينا إليه يتحقق بكماله في الحياة الأخرى، في المجيء الثاني والقيامة العامة كما يعلّم بولس الرسول: «فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه، الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت» (١ كو ١٣: ١٢). غير أن التألّه هو اتّحاد بالله، وهذا الاتّحاد يبدأ تحقيقه في هذه الحياة الحاضرة، عبر تحوّل طبيعتنا الفاسدة لكي تتماهى مع مستلزمات الحياة الأبدية. لقد وضع لنا الله في كنيسته التي لن تقوى أبواب الجحيم عليها (مت ١٦: ١٨)، كلّ ما نحتاجه من وسائل (الأسرار والصلوات الليتورجية) لنصل الى الغاية المنشودة، بالإضافة إلى الوصايا الحياتية التي يجب أن يحيا بحسبها الإنسان المسيحي (العظة على الجبل، متى ٥ و٦ و٧ مثلاً وغيرها مما ورد في الأناجيل). نحن بدورنا يجب أن نقوم بالخطوات اللازمة ليتكامل عملنا مع عمل الله. في هذا العمل المشترك، في تعاون الإنسان مع الله، يتحقق الاتّحاد الكامل، وهذا هو مسار الحياة المسيحية.

العدد ٢١ /٢٠١٥

الأحد ٢٤ أيار

أحد آباء المجمع المسكوني الأول

تذكار أبينا البار سمعان

اللحن السادس

إنجيل السَحَر العاشر

من بين الوسائل التي تساعدنا على النمو في معرفة الله والتي نجدها في كنيستنا المقدسة، العقائد التي تحوي حقائق الإيمان المعلنة من أجل خلاصنا. هذه العقائد تضعنا على الطريق الصحيح وتقينا من أن نتوه في بحثنا عن الله كما تاه الكثير من الهراطقة. إن آباء المجمع المسكوني الأول (انعقد في مدينة نيقيا عام ٣٢٥ م) الذين نعيّد لهم اليوم، قد وضعوا النسخة الأولى من دستور الإيمان الذي يحدّد ما هو إيماننا. إن من يرفض تعليم الكنيسة عن الله وما سلّمته لنا جيلاً بعد جيل ويريد أن يتّكل فقط على نفسه يكون كمن يرفض الاتّكال على ما أعلنه الله

عن نفسه، الإعلان الذي بقي محفوظاً ومعاشاً في الكنيسة.

في بدايات القرن الماضي، شرح القديس سيرافيم ساروفسكي ما هو هدف الحياة المسيحية قائلًا: «الصلاة، الصوم، الإحسان، وكل الأفعال المسيحية الأخرى، مع كونها كلّها صالحة بحد ذاتها، لكنها بالتأكيد لا تشكّل بحد ذاتها الهدف من حياتنا المسيحية، إنها أدوات لا يمكن الاستغناء عنها للوصول الى هذا الهدف. لأن الهدف الحقيقي للحياة المسيحية هو اقتناء الروح القدس». لكي تساعدنا الأعمال الصالحة لننال ثمار الروح القدس يجب أن تكون مفعولةً باسم المسيح، لأن الرب نفسه قال: «من لا يجمع معي فهو يفرّق» (مت ١٢: ٣٠). «وأما مَن يفعل الحق فيُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله انها بالله معمولة» (يو ٣: ٢١). بكلمات أخرى، بالنسبة إلى المسيحي، العمل يكون صالحاً وجيّداً بقدر ما يقوّي إتّحادنا بالله، بقدر ما يمنحنا نعمة الروح القدس. الفضائل ليست هي الغاية بل الوسيلة، أو بالحريّ هي تجسيد الحياة المسيحية، التي غايتها الوحيدة هي اقتناء نعمة الروح القدس التي تتحدنا بالله.

إن النعمة التي ننالها من لدن الله، مع كونها مجّانية، لا تنفصل عن الحرية الإنسانية. هذه العلاقة بين نعمة الله والحرية الإنسانية يشرحها القديس غريغوريوس النيصصي بقوله: «كما أن نعمةَ الله لا تستطيع أن تنزل على النفوس التي ترفض الخلاص، كذلك قوة الفضيلة الإنسانية (الممارَسَة بحرية تامة) لا تستطيع أن ترفع الى الكمال النفوس التي لم تحظَ بنعمة الله... إن الأعمال الصالحة ونعمةَ الروح القدس، عندما يكونان معاً، يمنحان النفس التي يتحدّان فيها الحياة المباركة». إن نعمة الله لا نحصل عليها بسبب أعمالنا الصالحة فقط، بل الله الذي يراقب جهادنا وتقدّمنا الروحي يعطينا إياها بإرادته بالطريقة والوقت المناسبَين لكلّ منا. هذا يفترض تعاوناً بين مشيئتَين: المشيئة الإلهية والمشيئة البشرية. إن النعمة هي حضور الله فينا، وهذا يتطلب منا جهداً مستمراً لكي لا ندع أي أمر يفصلنا عن الله ويبعدنا عن هدف وجودنا.

إذ نحن على مسافة أسبوع من عيد العنصرة وانحدار الروح القدس على التلاميذ بشكل ألسنة نارية، لنتذكر أن هذا الروح نفسه لا يزال يفعل في محبّي الله، وهو الذي يتحدنا بالله ويكشف لنا الأسرار الإلهية إن نحن ألقينا عنا كلّ أمر يعاكس المشيئة الإلهية وتمسكنا بكل ما هو مفيد لخلاصنا وخلاص الآخرين.

مشابهة القديسين

أن تصلّي، يعني أن تدخل في حوار مع الله إذا كنت تؤمن بأنه هو المدبّر والمبتغى. تعتمد الديانات في العالم على الصلاة أو التأمل من أجل التواصل مع الله، مبتغيةً إمّا إلهاً أو قوّةً تؤمن بعنايتها. أما الصلاة في الكنيسة الأرثوذكسيّة المقدّسة فهي المجال الذي يُتاح فيه للإنسان أن يسبّح الرب ويشكره على ما يعطيه من الخيرات ويعترف به أنه وحده مصدر هذه الخيرات، ويطلب منه وحده الخيرات الروحية والمادية. يشكّل الآباء القدّيسون المثال للمؤمن في رفع الصلاة وفي تلاوة الترانيم الإبتهاليّة. ترتبط الصلاة كذلك بالمكان الذي تقام فيه، لذا فكل الديانات السماويّة والديانات الأخرى تبني حاجاتي وحاجات الذين معي خَدَمْتها هاتانِ اليدان* في كلّ شيءٍ بيّنتُ لكم أنّه هكذا ينبغي أن نتعبَ لنساعد الضّعفاء وأن نتذكّر كلامَ الربّ يسوع. فإنّه قال إنّ العطاءَ هو مغبوطٌ أكثر من الأخذ* ولمّا قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى.

الإنجيل

(يوحنا ١٧: ١–١٣)

في ذلك الزمان رفع يسوعُ عينيهِ إلى السّماء وقال يا أبتِ قد أتتِ الساعةُ. مجّدِ ابنك ليمجّدك ابنُك أيضًا* كما أعطيتَهُ سلطانًا على كلّ بشرٍ ليُعطيَ كلَّ من أعطيتَهُ لهُ حياةً أبديّة* وهذه هي الحياةُ الأبديّةُ أن يعرفوك أنتَ الإلهَ الحقيقيّ والذي أرسلتَهُ يسوعَ المسيح* أنا قد مجّدتُك على الأرض. قد أتممتُ العملَ الذي أعطيتَني لأعملَهُ* والآن مجّدني أنت يا أبتِ عندك بالمجدِ الذي كان لي عندَك من قبلِ كونِ العالَم* قد أعلنتُ اسمَك للناسِ الذين أعطيتَهم لي من العالَم. هم كانوا لك وأنت أعطيتَهم لي وقد حفِظوا كلامك* والآن قد علِموا أنّ كلّ ما أعطيتَهُ لي هو منك* لأنّ الكلامَ الذي أعطيتَهُ لي أعطيتُهُ لهم. وهم قبِلوا وعلموا حقّاً أنّي منكَ خرجتُ وآمنوا أنّك أرسلتني* أنا من أجلهم

أسأل. لا أسأل من أجل العالم بل منْ أجل الذين أعطيتَهم لي. لأنّهم لك* كلُّ شيءٍ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لكَ هو لي وأنا قد مُجّدتُ فيهم* ولستُ أنا بعدُ في العالم وهؤلاء هم في العالم. وأنا آتي إليك. أيّها الآبُ القدّوس احفَظهم باسمِك الذين أعطيتَهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن* حين كنتُ معهم في العالم كنت أحفظُهم باسمك. إنّ الذين أعطيتَهم لي قد حفِظتُهم ولم يهلِك منهم أحدٌ إلاّ ابنُ الهلاكِ ليتمّ الكتابُ* أمّا الآن فإنّي آتي إليك. وأنا أتكلّمُ بهذا في العالمِ ليكونَ فرحي كاملًا فيهم.

تأمل

«كل شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي».

تعلّمنا الكنيسة الجامعة الرسولية في تذكار آباء المجمع المسكوني الأول المدافعين عن ألوهة الرب يسوع ومساواته للآب في الجوهر أنّ مع وجود الآب كان الإبن الوحيد موجوداً منه (بالولادة) بلا زمن ولا انفعال ممّا يفوق الإدراك، الأمر الذي يعلمه إله الجميع وحده. فكما أنه مع وجود النار يكون النور الصادر منها، ولا تكون النار أولًا وبعد ذلك النور، بل يكونان معاً. وكما أن النور الصادر من النار مولود منها دائماً ولا يفارقها البتة، كذلك يولد الإبن أيضاً من الآب دون أن يفارقه البتة، بل أبنيةً تجد أنّها تليق باجتماع المؤمن باللّه.

الصلاة فنّ الفنون كما يدعوها الآباء المعاصرون. وقد رتّبت الكنيسة الصلوات والخدم اللّيتورجيّة لتتوزّع على كلّ ساعات اليوم. ووضعت الكتب والقواعد التي تنظّم الخدم ليكون كلّ شيءٍ بلياقةٍ وترتيب كما يدعو الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٤: ٤٠).

تقيم الكنيسة الأرثوذكسيّة المقدّسة في هذا الأحد المبارك تذكاراً للآباء القدّيسين الذين اجتمعوا في المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥ في مدينة نيقيا ونظموا الجزء الأول من دستور الإيمان وهو الصلاة التي لا ينفكّ المؤمن عن تلاوتها في كل الخدم والصلوات. بهذا الدستور ترك لنا الآباء صلاةً تحوي ملخّص التعليم المستقيم الرأي الذي تؤمن به كنيستنا المقدّسة. بتلاوة هذه الصلاة نتمثّل يوميّاً بهؤلاء القدّيسين ونحافظ على استمرار هذا التسليم الذي تسلّمته الكنيسة جيلًا بعد جيل. وكما أنّ العلاقة مع الآخر فيها شيءٌ من الإستمراريّة، هكذا الصلاة يجب أن تكون مستمرّةً من حيث هي علاقتنا مع الله وحوارنا معه. يعلّمنا القدّيس يوحنا الذهبي الفم أنّه إذا لم نصلِّ إلّا وقت الصلاة فنحن لم نصلِّ. عنى القدّيس بهذا القول أنّ الصلاة يجب ألّا تصبح واجباً يقوم به الإنسان كمن يتمّم عملاً مفروضاً عليه أو مطلوباً منه. إضافة إلى الصلوات الأساسيّة التي وضعتها الكنيسة خلال النهار، يحثّنا الذهبي الفم على استذكار الله في حياتنا حتّى في الأوقات التي نتمّم فيها أعمالاً أخرى أو في أوقات الراحة. بهذه الطريقة يمضي المؤمن وقتاً أكثر مع الله ويتوق إليه كما يتوق العاشق إلى معشوقه مريداً قضاء المزيد من الوقت معه.

أمّا الصلاة الجماعيّة فتفترض مكاناً يجتمع فيه المؤمنون. في الجماعة المسيحيّة الأولى، كانت الكنيسة كبناءٍ عبارةً عن غرفةٍ في أحد المنازل يجتمع فيها المؤمنون لرفع الصلوات للّه وكسر الخبز في سرّ الإفخارستيّا. لاحقاً وبسبب الإضطهادات انتقلت الإجتماعات إلى الديامس والمغاور تحت الأرض، حيث اجتمع المؤمنون هرباً من الإضطهادات. اليوم لدينا البناء في مختلف تصاميمه الهندسية الذي يدعوه الجميع الكنيسة. لكن الأهمّ في الكنيسة ليس الحجر إنّما المؤمنون المجتمعون فيها للصلاة. الأهم هو أن تتحوّل قلوبنا الصلبة المتحجرة إلى قلوبٍ طيّبةٍ منتشيةٍ من الصلاة ومن كلمة الله التي تتلى في الخدم المقدّسة.

ليس واجباً من ناحية الحياة البيولوجيّة أن ندخل الكنيسة، لكنّه أمرٌ طبيعي وضروري من ناحية الحياة الروحيّة. في الكنيسة نشترك مع المؤمنين في رفع الصلاة والشكر للّه. نتناول العطيّة الكبرى التي أعطاناها الرب بتناولنا جسد المسيح ودمه في سرّ الشكر. هذا الواقع، تناولنا الجسد والدم الإلهيّين، من المفترض أن يُدخل تغييراً في حياتنا. فحين نخرج من الكنيسة يجب أن نكون قد تغيّرنا في داخلنا ولا نبقى كما عندما دخلناها. يعلّمنا القدّيس يوحنا الذهبي الفم أيضاً أنّنا في كلّ مرّة نخرج من الكنيسة، بعد أن نتناول الجسد والدم الإلهيّين، نخرج بحالةٍ متجدّدة إذ نكون قد ارتقينا إلى خدمةٍ إلهيّةٍ وتناولنا الجسد الإلهي. لذا يعلّمنا القدّيس أنّ المؤمن الحقّ يخرج من الكنيسة متجدّداً كلّ مرّة وذلك أمرٌ طبيعي إذ الكنيسة تهدف إلى رفع النفس نحو الأرقى والأسمى. على الإنسان أن يبحث عن هذا

التغيير من خلال فحص الذات. طبعاً ليس الحديث عن تغيّر بيولوجي أو مادّي بل عن تغيّر روحيٍّ غير ملموس أدواته المحبّة والتواضع. بكلامٍ آخر، عندما يخرج المؤمن الحق من الكنيسة لا يعيّر الآخر ويناقش ملابسه أو تصرّفه في الكنيسة أو خارجها. من المفترض أن نرتفع عن الأرضيات ممارسين الفضائل ومحبّة الآخر التي نطلبها في الكنيسة «لنحبّ بعضنا بعضاً».

الصلاة فنٌّ كما قلنا، فيها يسعى المؤمن بحرفةٍ إلى الإرتقاء والبلوغ نحو العلويات، نحو الروحيات، غير متوقّفٍ عند القشور الماديّة. لماذا هي فنّ؟ لأنّ «ملكوت السموات يغتصب اغتصاباً» (مت١١: ١٢) فطوبى للعبد الذي يسمع صوت الرب قائلًا «أدخل إلى فرح ربّك» (مت ٢٥: ٢١).

في صلاة يسوع

ما هي الصلاة؟ وما معنى أنّ المسيح قد صلّى؟

الصلاة ارتفاع العقل إلى الله أو هي التماس احتياجاتنا منه تعالى. فكيف إذاً قد صلّى الرب بشأن لعازر وفي وقت آلامه؟ إنّ عقله الأقدس لم يكن بحاجة إلى الارتفاع إلى الله، لأنّه كان متحداً في أقنومه بالله الكلمة، ولم يكن بحاجة إلى الالتماس من الله، لأنه واحدٌ معه تعالى. لكنَّ المسيح – باختصاصه بشخصنا وبصيرورته مثالاً لنا وبجعله ذاته رسماً لنا – قد علَّمنا أن نلتمس من الله وأن نتوقَ إليه، راسماً لنا بعقله الأقدس سبل الإرتقاء إلى الله. وكما أنه احتمل الآلام فقوّانا للانتصار عليها كذلك قد صلّى أيضاً، معلِّماً إيانا، كما قلنا، للارتقاء إلى الله، متمِّماً بذلك كل عدل لأجلنا، كما قال هو نفسه ليوحنا. واستعطف أباه نحونا، مكرّماً إيّاه على أنه مبدأه وعلّته، فأظهر لنا بذلك أنه ليس مقاوماً لله. فهو عندما قال بخصوص لعازر: «يا أبتِ، أشكرك لأنك سمعت لي. وقد علمتُ أنك تسمع لي في كل حين. لكن قلتُ هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنك أنت أرسلتني» (يو ١١: ٤١)، أليس واضحاً للجميع أنه بقوله هذا يُكرّم أباه بصفته علّته، ويعلن أنه ليس مقاوماً لله؟

ولمّا قال: «يا أبتِ، إن كان يُستطاع فلتعبر عني هذه الكأس. لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك» (متى ٢٦: ٣٩) أليس واضحاً هنا أنه يعلّمنا بأن نستغيث في المحن بالله وحده، وأن نفضّل المشيئة الإلهية على مشيئتنا، معلناً بذلك أنه بالحقيقة اختصّ لذاته ما هو لطبيعتنا، ذلك أنّ له مشيئتين بالحقيقة وهما طبيعيتان، واحدة لكلٍّ من طبيعتيه، وهما فيه لا تتنافران؟ وقد قال: يا أبتِ، لأنه مساوٍ للآب في الجوهر. وقال: إن كان يُستطاع، ليس لأنه يجهل ما يستطيعه الله، بل ليروّضنا على إخضاع مشيئتنا لمشيئة الله. وقال أخيراً: لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك. فبما أنّ المسيح إلهٌ، مشيئته هي مشيئة الآب نفسها. أما بما أنه إنسان فتظهر مشيئة ناسوته ظهوراً طبيعيًّا وهي ترفض الموت رفضاً طبيعياً.

القديس يوحنا الدمشقي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

يكون فيه دائماً. لكنّ النور المولود من النار بلا افتراق والباقي فيها دائماً، ليس له أقنوم خاص به من قِبَل النار، لأنه صفةٌ للنار طبيعيّة. أما ابن الله الوحيد الجنس المولود من الآب بلا انفصال ولا افتراق، والثابت فيه دائماً، فله أقنومه الخاص من قِبَل الله.

وعليه يُسمى الإبن كلمة وبهاء، لولادته من الآب بلا علاقة ولا انفعال ولا زمن ولا افتراق. وهو أيضاً صورة الأقنوم الأبوي، لأنه كامل وذو أقنوم ومساوٍ للآب في كل شيء، عدا اللاولادة. وهو الوحيد الجنس، لأنه وُلد وحده من الآب وحده ولادةً وحيدة، فليس من ولادة أخرى تساوي ولادة الإبن من الله، وليس من ابن الله سواه. أمّا الروح القدس، فينبثق من الآب لا بالولادة بل بالانبثاق. وطريقة الوجود الأخرى هذه لا تُدرك ولا تُعرَف، شأنها شأن ولادة الإبن. لذلك كل ما للآب هو أيضاً للروح عدا اللاولادة التي لا تشير إلى جوهر أو رتبة مختلفين، بل إلى طريقة الوجود. فإن آدم مثلاً هو غير مولود لأنه جبْلة الله، وحواء منبثقة من ضلع آدم وهي غير مولودة. ولا يختلف واحدهم بالطبيعة عن الآخر – لأنهم بشر – بل يختلفون في طريقة وجودهم.

القديس يوحنا الدمشقي